

رمية القوس: معركة حرّان (1)

عامر محسن

المسألة الأساس في تصميم قوس حربيّ تتمثّل في توليد أكبر قدر ممكن من الضغط لدى شدّ السهم قبل إطلاقه، وهو ما يقرّر المدى وقدره الاختراق. بهذا المعنى، كان الجنود الانكليز في معركة «أجينكور» يستخدمون النسخة الأمثل من «القوس الطويل» الأوروبي: أخشابٌ اختيرت خصيصاً لليونتها وصلابتها، وطول القوس يسمح بنقل كمية كبيرة من الطاقة الى السهم لدى شدّه (كان الرماة الانكليز يواظبون على دهن أقواسهم بالزيت حتى تبقى ليّنة ورطبة، ولا تجفّ وتتكسر تحت الضغط؛ وكانوا يحفظون الأوتار تحت خوذهم لحمايتها من البيل).

الا أن القوس الطويل كانت له نواقص وحدود: فائدته العملية في المعركة تقتصر على دقائق قليلة، تنفذ بعدها ذخيرة الرماة؛ والنبالون بطيئون ولا يمكنهم حماية أنفسهم، ان وضعتهم في المقدمة يصبحون معرّضين لهجمات الخيالة السريعة، وان وضعتهم في الخلف يتقلّص المدى الفعال لصلياتهم. غير أن أهم مشاكل القوس الطويل كانت في أنّه لا يمكن أن يستعمل من على ظهور الخيل.

منذ القرن الثالث عشر في انكلترا، كانت هناك وحدات تسمّى بـ «الخيالة الرماة»، الا انهم كانوا فعلياً يستغلون سرعة الخيل لنقلهم من مكان الى آخر، ثم التّرجل واستخدام القوس بشكل اعتيادي، والفرار مجدداً. حجم القوس وطريقة الرمي تجعلان التوازن على حصان أثناء اطلاق السهام من المستحيلات (تقتبس المؤرخة جوليت بايكر من مذكرات قسّ انكليزي وُصف عملية التدرّب على رماية القوس الطويل، وكيف أن التقنية تقوم على استخدام وزن الجسد وعضلات الكتفين لضغط الوتر، وليس حركة الذراع، وهذا غير ممكن على متن جواد مسرع).

أمّا في سهوب آسيا الوسطى، حيث رُوّض الانسان الحصان واستخدمه في الحرب والصيد قبل أي حضارة أخرى، فقد كان «القوس المركّب» سرّاً عسكريّاً حقيقيّاً، لا تعرف الى اليوم كل أسرار صناعته، وكان مصمّماً للاستخدام من على سهوات الجياد. بهذا السلاح تحديداً، تمكنت سلالات آسيوية متعاقبة (من البارثيين الى المغول) من هزيمة جيوش أضخم منها بكثير وتأسيس امبراطوريات شاسعة (في ما يشابه الدور الذي لعبه البارود في مراحل لاحقة، مع التذكير بأنّ الحرب ليست تكنولوجيا فحسب: «السر العسكري» الأساس للجيوش البدوية يكمن في مجتمع يجعل من كلّ ذكوره محترفي فروسية وقتال منذ الصّغر).

إذا ما قاربنا القوس الانكليزي في «أجينكور» بالقوس الآسيوي الملتوي، فإن الأول لا يبدو أن يكون خشبة مقوّسة رُبطت بحبل، فيما الثاني بدعة هندسية معقّدة. «القوس المركّب» مكوّن من قلب خشبي (عولج بتقنية خاصة حتى يلوى بعدة طبات، ويكون حجمه صغيراً في يد الفارس) مغلف، من جهة الرامي، بدعامة منحوتة من قرون الغزلان، ومن الجهة الثانية بطبانة مكوّنة من اليااف مشدودة ومتراصة تُستخرج من عضلات الحيوانات. القوس، هنا، يعمل كالذراع البشرية: الألياف، كالعضلات، تشدّ وتقبض، فيما قرن الغزال (كالعظام) يؤمّن الدعم والمتانة. هذا القوس، الذي يتقلّص ويلتوي مع الرّمية، يقدّر خبراء معاصرون أنه يحتمل طناً من الضغط، ويصل مداه الى أربعمئة متر، وكانت رميته تقدر على خرق أي درع في العالم القديم من أكثر من مئة متر.

اللقاء الأقدم، والأشهر، للغربيين مع هذا القوس كان في الجزيرة الفرثية، قبل «أجينكور» بـ 15 قرناً، حين اصطدم جيش روماني من سبعة فيالق بجيش الامبراطورية البارثية قرب حرّان (كارهاي)، شمالي مدينة تل ابض السورية ببضعة كيلومترات. البارثيون (يسميهم المؤرخون العرب «الأشكانيون») هم من الأقوام الإيرانية القديمة، أتوا من صحارى خراسان في وسط آسيا، وكانت لهم في القرن الأول الميلادي، حين اصطدموا بالرومان، امبراطورية تبدأ في أفغانستان المعاصرة وتلامس سواحل المتوسط.

أما السيناتور الروماني كراسوس، حاكم سوريا الرومانية، فالمشهور عنه أنه أحد أكثر الرجال ثراءً على مر التاريخ، وهو - في سيرته تذكّر سياسي لبناني راحل - كان «مطوّراً للعقارات» في روما، يُقال انه كان ينتظر أن يشبّ حريق في منزل ما حتى يتوجه اليه مع فريق اطفاء، ويفاوض أصحابه على بيعه بثمن بخس، ثم يقوم باطفاء النيران وأصلاح البيت وبيعه. وقد دخل مسرح السياسة الرومانية عبر سحق ثورة العبيد التي قادها «سبارتاكوس».

كراسوس، مثلما اشترى مناصبه ونفوذه، اشترى لنفسه جيشاً جراراً، يعدّ أكثر من أربعين ألف مقاتل بين الفياق الرومانية والوحدات الملحقة (وهذا جمع هائل بمقاييس العالم القديم). وقرّر، حين عين حاكماً لسوريا، تحقيق مجدٍ عسكريّ يبرز به شريكه في حكم الجمهورية، بومبي ويوليوس قيصر، والاثنان كانا «أسطورتين» عسكريتين في روما، بينما هو مجرد تاجر ثري. كان لدى كراسوس مشروع طموح لتوسيع الامبراطورية شرقاً، وصولاً الى الهند والصين، وكان البارثيون في طريقه، فجعل دولتهم هدفة الأول، ووقع الصدام في سوريا.

يوجد نصّان عن معركة حرّان لمؤرخين رومانيين، هما بلوتارك وديو؛ والاثنان يتفقان على أن الخطأ الأول لكراسوس تمثّل في أنّه لم يعبر بفيالقه (وجلبها من المشاة) جبال ارمينيا الخليفة، لينزل على عواصم البارثيين مباشرة من نينوى أو ساحل قزوين، بل اتخذ خطأ مباشراً عبر الصحراء، وهي الميدان المثالي لجيوش البارثيين التي كانت، كأكثر الجيوش البدوية الآسيوية، مكوّنة بالكامل من الخيالة.

تقول الرواية إنه، بعد أن عبر كراسوس نهر الفرات وقبل أيام من المعركة، جاءه رسل من ملك بارثيا مع عرض بأن يرجع بسلام الى مقاطعته، وأن لا تكون هناك عداوة، فأعلن لهم، ببساطة، أنه ينوي عبور الصحراء بجيشه، واحتلال امبراطوريتهم، واخضاعهم لروما؛ فضحك السفراء وغادروا المجلس...

في الواجهة

مفتاح عون: جلسة النضال يتيمت إلا إذا

تقدّم الرئيس ميشال عون خطوة الى الامام بالمواضفة على جلسة للبرلمان، ونصف خطوة بالمواضفة على جلسة لمجلس الوزراء. اوله مع القوات اللبنانية على اقتراح استعادة الجنسية، وثانية مع حزب الله على ملف النفايات فحسب

نقولاً ناصيف

باعلان تكتل التغيير والاصلاح استعداداه المشاركة في جلستين لمجلسي النواب والوزراء، اثبت الرئيس ميشال عون مجدداً امتلاكه مفتاحي ابواب المؤسستين الدستوريّتين. ناهيك بمفتاح ثالث لا يقل اهمية، هو مقاطعته جلسات انتخاب رئيس الجمهورية، تجعله في الظاهر على الاقل مسؤولاً اساسيا عن عرقلة انتخاب الرئيس. لا توحى المرونة الطارئة التي ابداهها عون، في الايام الاخيرة، باخراج مجلسي الوزراء والنواب من مازق التعطيل نهائياً. بل يبدو جازماً اكثر من ذي قبل بالاصرار على ربط احياء دوريهما والالتزام الدوري باستجابة شروطه، وتأكيد موقف سلكه منذ بدء شغور رئاسة الجمهورية: لا رابط بين الاستحقاق واجتماع مجلسي الوزراء والنواب لكل من افعال المؤسسات الدستورية الثلاث مفتاحه الخاص.

هكذا، حسابات الرئاسة لديه تختلف عن اقتناعه ب«تشريع الضرورة» في البرلمان، كما عن تمسكه بالية

ممارسة مجلس الوزراء صلاحيات رئيس الجمهورية الى ان يُنتخب الرئيس، وتاليا اصراره على تعليق المادة 65 في الدستور المنظمة لاجتماعات مجلس الوزراء وطريقة اتخاذه القرارات ما دام الشغور مستمرا.

واذ تبدو الامال المعلقة على التثام البرلمان اكثر تفاؤلاً، ليس ثمة ما يشير الى تقدّم جذّي في مساعي استعادة حكومة الرئيس تمام سلام اجتماعاتها الدورية تقريبا. بدوره رئيسها لا يريد المجازفة بتوجيه دعوة الى جلسة في سرايا ما لم يكن متيقنا من انعقادها اولاً. بل يتصرف كتكتل التغيير والاصلاح حيال قبوله بحضور جلسة بت ملف النفايات حصراً - اذا انعقدت - على انه استثناء حتمي لاستيعاب تفاقم اخطار هذه المشكلة بيئياً وصحياً، بلا اي نوع من التدايعات السياسية تشبه الخلاف على التعيينات العسكرية والامنية.

بالتأكيد لم يهضم عون تماماً الضربة المؤجعة التي وُجّهت اليه حتى 15 تشرين الأول، برفض مجلس الوزراء اجراء تعيينات عسكرية وامنية لا تقتصر على قائد جديد للجيش، بل تشمل المجلس العسكري بمقاعد الشاغرة والمدير

لا رابط بين الاستحقاق واجتماع مجلسي الوزراء والنواب. لكك قفله مفتاحه الخاص

العام لقوى الامن الداخلي ومجلس قيادة قوى الامن الداخلي. نظر الى تعيين العميد شامل روكز على انه «الخيار الامثل» لقيادة الجيش وكان مرشحاه، وهو ما أسرّ به اكثر من مرة في لقاءات خاصة، اذ اعتبر الرجل يحمل معه «خطة تحدياته في المرحلة المقبلة. أسقط بذهاب روكز الى التقاعد، فأضحت الحكومة برمتها هدفاً تاليا له: لا جلسة بعد اليوم سوى بالعودة الى اصل المطلب، وهو التعيينات العسكرية والامنية، في اول جلسة لمجلس الوزراء.

ليس هو المطلب الوحيد لعون، اذ اقرنه باخر ملازم له هو الية عقد مجلس الوزراء جلساته واتخاذه القرارات، تبعاً لما اتفق عليه في المرحلة الاولى من الشغور الرئاسي: - يسقط من جدول اعمال مجلس الوزراء، قبل انعقاد الجلسة، البند الذي يتحفظ عنه مؤنّان رئيسيان في الحكومة.

- يسقط من قرارات مجلس الوزراء البند الذي يتحفظ عنه مؤنّان رئيسيان في الحكومة. - توقيع الوزراء الـ24 جميعاً على المراسيم العادية التي لا تمر بمجلس الوزراء.

- سريان الاتفاق الضمني على تعريف المكوّن الرئيسي، وهو الكتلة الوزارية الوازنة ذات التمثيلين النيابي والشعبي الوازنين. بذلك لا يُعدّ وزراء الرئيس ميشال سليمان مكوّناً رئيسياً لافتقارهم الى تمثيل نيابي وشعبي، ناهيك بان استمرارهم في الحكومة لا يعدو تركة عهد انقضى ببرر استمرارهم العجز عن انتخاب رئيس للجمهورية. سرعان ما اضحى «اللقاء التشاوري» مجتمعاً مكوّناً رئيسياً بانضمام وزراء حزب الكتائب ووزيرين مسيحيين

خارجاً لتوّه من جلسة المرافعة التي تسبق النطق بالحكم عليه. حضر الجلسة بسترة خضراء وحذاء رياضي. كرّر رفع نظارتيه لمسح عينيه مرات عدة قبل أن يسأله رئيس المحكمة ما إذا كان لديه ما يُريد إضافته. هزّ برأسه وأجاب: «بذّي ذكر أنني أوقفت قبل إقامة الدولة الإسلامية في عرسال»، فقاطعه ابراهيم: «لم تقم الدولة الإسلامية أصلاً». فأوضح فسّوق: «أقصد أحداث عرسال. لم أخطئ لشيء ولم أسمع عن (أسامة) الشهابي إلا هنا. ليس لي أحد في هذه البلاد وما من أحد قطع الطريق لأجلي. لا أحد يعرفني». عقب القاضي: «الكل يعرفك في لبنان. أنت مشهور». فردّ فسّوق: «رأوني في كل البرامج التلفزيونية، وليس مع هيفاء وهبي. من وين جابولي

توتر وصراخ في «العسكرية»: ست سنوات

الإرهاب؛ لا إرهاب ولا كباب يا عمّي». سأله العميد ممانحاً: «هل تريد أن تُحضر لك هيفاء وهبي»، فضحك. ثم سأله ابراهيم: «ما اسم ابنك وماذا يفعل؟». فوجّه فسّوق بالسؤال وردّ: «ابني البكر اسمه محمد وهو متزوّج في بريطانيا ولم أسمع عنه شيئاً منذ نحو سنة». لم يبلغه ابراهيم خبر مقتل ابنه في صفوف «الدولة الإسلامية»، نزولاً عند طلب المحامين الذين بادره أحدهم: «بترجّك رئيس بالها». لم ينته فسّوق لما جرى فأكمل كلامه طالباً من المحكمة الرحمة. سأله رئيس المحكمة إن كان يتابع الأخبار فردّ: «أنا في رومية منعزل تماماً. لا أرى أحداً إلا السجّان». وأردف ضاحكاً: «تابعته هيدي طلعت ريحتك حتى طلعت ريحتنا». ولما سأله القاضي عما يطلب، أجاب: «أنا

رضوان مرتضى

ضربتان على الرأس تلقّاهما الشيخ عمر بكري فسّوق أمس: حكم المحكمة العسكرية بسجنه ست سنوات بجرم تاليف تنظيم إرهابي وإنشاء معسكرات تدريبية، وخبر مقتل ابنه «محمد البريطاني» في صفوف تنظيم «الدولة الإسلامية». أبلغ فسّوق الحكم مساء أمس، أما «خبر استشهاد» نجله، فلم يعلم به إلا بعد خروجه من قاعة المحكمة، بعدما نزل رئيس المحكمة العميد خليل ابراهيم عند رجاء وكلائه بعدم إعلامه بالخبر. نقل فسّوق، وحده دون غيره، معصوب العينين، ومقيداً من نظارة الموقوفين في المحكمة العسكرية، بجزّه عنصر مقلّع من «فرع المعلومات»، كان